المحور الثاني :
المفاهيم المرتبطة بالمؤسسة

تقديم :

بعدما تطرقنا في دروس المحور الأول لمختلف التعريفات النظرية و الابيستمولوجية للمؤسسة و وضحنا الفرق بن دلالتها و دلالة المصطلحات التي طالما استعملت للإحالة عليها ، و كذا اهم المقاربات السوسيولوجية التي تناولت " المؤسسة" institution . سوف نقوم في هذا المحور بشرح و تفصيل اهم المفاهيم المرتبطة بها ، و التي نعتقد ان من شانها تبيان للطالب الية اشتغال المؤسسة و ديمومتها في العالم الاجتماعي .

ذلك ان المفارقة التي تحيل إليها المؤسسة بالفهم السوسيولوجي، تتجسد من جهة في اشارتها لجميع حالات السلوك العامة و الخاصة ، و من جهة أخرى تشير بشكل صريح و فعلي لاحد هيئات المجتمع المعينة بالاسم . و ان كانت كلا النظرتين تتفق حول السمة الملزمة للمؤسسات و التشديد على خاصية النظامية ، و انها مهما يكن تقيم روابط من التبعية المتبادلة بين مجموعة من النشاطات المتنافرة . من خلال اليات قد تكون ظاهرة او خفية قادرة على تحقيق التبلور و التوازن و الانتظام. هذه الاليات هي ما يسميها علماء الاجتماع باليات / عناصر المأسسة هي محل قبول و تراض من طرف الجميع، و تسمح في نفس الوقت بادراك الجميع لتوقعات منتظمة لعلاقاتهم و ارتباطاتهم مع بعضهم البعض ، و هي ما سوف نتعرض لها في هذا المحور .

1 – 1 القوة : pouvoir

هي حسب التعريف التقليدي الذي يقدمه " فيبر" " احتمال أن يكون أحد الفاعلين في اطار علاقة اجتماعية ما، في وضع يمكنه من تنفيذ رغبته رغم المقاومة، و بقطع النظر عن الأساس الذي يستند إليه هذا الاحتمال. و القوة هي مظهر من المظاهر المصاحبة لجميع العلاقات الاجتماعية التي تتسم بالاعتماد المتبادل الحميم بين الزوج و الزوجة إلى الاعتماد المتبادل بين وحدات اجتماعية أكبر للمؤسسات و التنظيمات.

و منه القوة هو مفهوم علائقي، فلا معنى لان نقول أن مؤسسة ما "تمتلك القوة" دون ان نحدد تحديدا دقيقا بالنسبة لأي مؤسسة أخرى يكون امتلاكها للقوة، وما الذي يمكنها فعله بهذه القوة. و لكي تمارس القوة من الضروري أن يكون لديك شيء من التحكم فيها، وأيا ما كان ذلك مرغوبا من الاخرين، و ذلك لك تكون قادر على كبح جماع رغباتهم. و هذا التحكم هو – بوجه عام و إلى حد ما – متبادل ، على الرغم من ان التبادل ليس متكافئا بحال من الأحوال. و من الجوهري ان نفكر من زاوية التوازن و عدم التوازن في القوة. و هكذا، فحينما يقوم أعضاء المؤسسة بأداء وظائف متخصصة ، كل منهما للأخر، فان لدى كل منهما قياس للقوة المحتمل ممارستها على الاخر ، ولكن توازنات القوة فيما بينهما قد تكون نسبيا

متكافئة أو غير متكافئة، كما قد تكون نسبيا ثابتة او دائمة التأرجح، و تتغير هذه التوازنات و تتطور من خلال المحاولات المستمرة للتشدد و التعصب .

و القوة اقرب إلى ان تكون عملية اجتماعية منها إلى ان تكون بنية أو كينونة ثابتة. و كلما زاد التقارب في موازنات القوة داخل شبكة ما من الاعتماد الاجتماعي المتبادل، زاد التكون التدريجي لمفهوم القوة، بحيث يتجه إلى مفهوم الاكراه ، و هو ما لا مفر من ان يمارسه البشر بعضهم مع بعض ، و سبب ذلك ببساطة هو الاعتماد المتبادل بينهم.

وقد تعمد "فيبر" في تعريفه ان يكون غير محدد فيما يتصل بالمصادر التي يمكن استخدامها عند ممارسة القوة، و الحقيقة أن أي شيء يمنح شخصا او جماعة ضمن مؤسسة اجتماعية ما درجة من التحكم فيما يريده او يحتاجه الاخرون ، يمكن ان ينظر إليه على انه مصدر قوة. و من بين المصادر التي ناقشها علماء الاجتماع، ملكية وسائل الإنتاج، الدخل ، شرف المكانة، الطقوس الشعائرية و السحرية، المهارات او المعرفة النادرة، و القيادة الكاريزمية. ... و يختلف الشيء الذي يمارس تأثيره كمصدر قوة بحسب نمط المجتمع، فملكية وسائل الإنتاج ، مثلا أقل أهمية في مجتمع الصيد ، منها في مجتمع صناعي، في حين ان التحكم في الشعائر سواء الدينية أو السحرية ، اقل أهمية في المجتمعات الصناعية الحديثة منها في المجتمعات التقليدية .

و قد ناقش "فيبر" أولا ثم "بورديو" لاحقا " الطبقات ، و شرف المكانة، و الأحزاب، و الحقول الاجتماعية، بوصفها نماذج لتحديد التدرج الاجتماعي stratification sociale ، و كل نوع من هذه يتميز بوضعه من حيث التحكم في أنواع معينة من مصادر القوة. " فيبر "يرى ان المصادر الاقتصادية في حالة الطبقات ، و توزيع " شرف المكانة " في حالة الجماعات التقليدية، و السياسي في حالة المؤسسات السياسية، اما " بورديو" فهو يربط مصدر السلطة بمجال الحقل و رساميل الاعوان الذين يشتغلون به[1].

و يتفق اغلب المشتغلين بعلم الاجتماع، حول فكرة ان توزيع مصادر القوة هو توزيع منظم مؤسساتيا في شكل نماذج سيطرة مستقرة نسبيا، و مميزة لمجتمعات ذات أنماط تاريخية محددة ، و تشمل عملية المأسسة على عنصر مهم هو نمو الشرعية . ان التحكم في المصادر يمكن ان يوصل إلى السيطرة التي يذعن لها الناس طبقا للمنفعة دون ان يعدوها شرعية . و السيطرة التي يقبلها الخاضعون على انها سيطرة شرعية تبعا لتوفر قيم العدالة و الاستحقاق ، غالبا ما تسمى سلطة autorité . و قد ميز " فيبر" ثلاثة

1 - Ruby, Christian. « Domination, autorité et pouvoir dans une sociologie de la domination », Raison présente, vol. 192, no. 4, 2014, pp. 86.

أنماط خالصة من السلطة، من حيث المصدر الذي تستمد منه قوتها الشرعية[2] ، هي السلطة العقلانية – القانونية، و تستند إلى الاعتقاد في شرعية القواعد المسنونة، وفي استحقاق الذين ارتفعوا إلى السلطة في ضل تلك القواعد " و السلطة التقليدية ، و تستند إلى "اعتقاد راسخ بقداسة تقاليد أبدية، و بشرعية من يمارسون السلطة في ضل التقاليد. و أخيرا السلطة الكاريزمية، و التي تستند إلى الإخلاص لخاصية غير اعتيادية، و البطولة و الصفة النموذجية التي يتمتع بها شخص فرد. و للنماذج المعيارية او النظام الذي يكون هذا الفرد مصدر إلهام به او بقيمه. و بذلك تعد البيروقراطية نموذجا للسلطة العقلانية- القانونية ، و الابوية و الدين و الاثنية تجسيدا للسلطة التقليدية، اما السلطة الكاريزمية فتتجسد في النبوة، و القائد الفذ، البطل ، المنقذ .... .

و كلما تعاظمت درجة الشرعية التي يتم إضفاؤها على نموذج من نماذج السلطة، قل طرديا احتمال اللجوء إلى وسائل الاكراه المكشوفة في ممارسة القوة . وقد عولجت هذه النقطة من طرف العديد من علماء الاجتماع فقد حلل "دوركايم" " التوسير " ادورنو " ، "غوفمان" "بودون" ، "ماري دوغلاس " " بورديو" و غيرهم الدور الذي تقوم به شبكة كاملة من المنظمات التربوية ، الثقافية، الاجتماعية في ترسيخ شرعية مجموع القيم و المعايير و القواعد و الاعتقادات، وذلك بخلق قبول جماهيري لها مما يقلل من مستوى الاكراه اللازم للحفاظ على الهيمنة و السيطرة .

1 – 2 السلطة: Autorité

السلطة هي نمط معين من أنماط القوة، و يعرفه معظم السوسيولوجيين تبعا لـ " بارسونز" بانه القوة الشرعية و المعترف بها باعتبارها قوة لها ما يسوغها اخلاقيا / قانونيا / اجتماعيا سواء من جانب من يملك القوة أو من جانب من لا يملك القوة[3]، وهناك علماء اخرون تأثروا بنظرية الصراع، فيرون ان السلطة هي القوة التي تتخذ شكلا مؤسسيا محكما، و استخدامها ليس موضع تساؤل او نقد لأنها روتين، " ان السلطة لا توصف بالصواب او الخطأ ، ولكن السلطة هي السلطة و لا شيء غير ذلك".[4]

لكن من العبث ان نقبل بمقولة السلطة، كأنها امر واقعي مفروغ منه مثلما اقر الفلاسفة، فالسلطة مرتبطة بالقوة، و ليس هناك مختص بعلم الاجتماع، درس السلطة بمعزل عن القوة، بل ان

2 - Weber Max, Économie et Société/1. Les catégories de la sociologie*, Paris, Pocket, 1995 p 72.*
3 -Ruby, Christian. « Domination, autorité et pouvoir dans une sociologie de la domination », Raison présente, vol. 192, no. 4, 2014, pp. 82.
4 - Ibid . p 80.

كلهم اكدوا على فكرة ان السلطة هي الجانب الشرعي للقوة[5]. لكن القليل منهم من تناول صحة ماهية السلطة فعليا ، هل هي فعلا مرتبطة بالقوة ام ان الأدوار الاجتماعية هي من تحدد المكانة وصاحب القوة، وبتالي السلطة؟ فربط السلطة بالقوة قد يحيل إلى دلالة التسلط و القهر ، اكثر من دلالة الطواعية و الامتثال . وهكذا تصبح العلاقة السلطوية علاقة أدوار.

فالتسلط هو انتحال للحق في الأمر دون تبرير وهو تجاوز لنطاق الحق، والسلطة بذلك معنى ديناميكي ومصطلح مراوغ فكما أشار "ألفن توفلر " Alvin Toffler في كتابه السلطات الجديدة ، إلى ما حدث من تغيير في طبيعة السلطة فيقول : " هناك تمة ما يدفع للاعتقاد بأن القوى التي تهز السلطة الآن في كل مستوى من مستويات النظام الإنساني، هي في طريقها للاشتداد و الضراوة في السنوات القادمة، ذلك أن إعادة هيكلة علاقات السلطة تؤدي -كما يحدث عند تحريك الصفائح الصخرية وتصادمها قبل الزلزال- إلى واحدة من أبرز الوقائع في تاريخ البشرية، وهي حدوث ثورة في طبيعة السلطة نفسها فتحول السلطة لا يعني مجرد نقلها بل أيضا تغير طبيعتها" [6] .

يعتقد **"فيبر"** إنه "لا توجد أي تنظيمات اجتماعية لم تستخدم القوة أو تمارس السلطة، بل تعد القوة والسلطة من أهم مظاهر وجود الدولة، وإن كانت تختلف طبيعة ممارسة القوة بين التنظيمات القديمة والحديثة لاختلاف طبيعة التيارات اجتماعيا واقتصاديا. كما تختلف أيضا شرعية الاعتقاد، وللسلطة وسائلها المتعددة " [7].

وهكذا تعرف السلطة في نطاق العلاقات الاجتماعية، وتختلف عن التسلط باعتبار انها تتميز بالشرعية . و هي في نظر "ميشال فوكو" "القوة التي تنتج وتلبي الحاجيات وتبني وليست القوة الجائرة التي تمنع وتعتدي وتهدم ... تنتج الواقع وتنتج الأشياء والطقوس التي هي الحقيقة... السلطة تنتج الانضباط واليات التأديب الناتجة عن الرقابة والعقاب وتكييف السلوك وتشكيله وتحصل السلطة عن طريق التسميات أو إطلاق النعوت étiqueter وتستمر عبر عبادة الأشخاص أو المثل"[8]. ان جوهر السلطة هو الحكم والتحكم، أي أن عملية الحكم هي السلطة الناتجة عن الرغبة في الهيمنة.

---

5 - Jacques Coenen-Huther, « Pouvoir, autorité, légitimité », *Revue européenne des sciences sociales* [En ligne], XLIII-131 | 2005, mis en ligne le 12 novembre 2009, consulté le 29 janvier 2021. URL : http://journals.openedition.org/ress/471 p 135.

6 - Alvin Toffler, Les nouveaux pouvoirs savoir, richesse et violence à la veille du XXIe siècle , Traduit par André charpentier Ed, le livre de poche. Paris .1997 . p 6.

7 - Ruby, Christian. « Domination, autorité et pouvoir dans une sociologie de la domination », Raison présente, vol. 192, no. 4, 2014, pp. 84.

8 - Jacques Coenen-Huther, « Pouvoir, autorité, légitimité », *Revue européenne des sciences sociales* [En ligne], XLIII-131 | 2005, mis en ligne le 12 novembre 2009, consulté le 29 janvier 2021. URL : http://journals.openedition.org/ress/471 p 136.

اما "بورديو" فقد صرح " إن السلطة ليست شيئا متموضعا في مكانٍ ما، وإنما هي عبارة عن نظام من العلاقات المتشابكة، و أن كل بنية العالم الاجتماعي، هدفها انتاج و إعادة انتاج آليات الهيمنة والسيطرة"([9]). فالسلطة حسب "**بورديو**"، هي بمثابة نظام معقد، يخترق كل العلاقات والترابطات، التي تشتغل داخليا، بواسطة آليات دقيقة وفاعلة، تتحكم في البنية العامة لذلك النظام. فالعلاقات السلطوية هي دينامكية تأثيرات متبادلة في ميادين تسمى "حقول السلطة". ويتصف حقل السلطة بنمط من العلاقات المبنية على الأدوار و التوقعات، أي أن نمط العلاقات لدى كل من يدخل حقلا سلطويا ما إنما هو دور ما، أو سلوك ما، أو استعداد للتصرف بطريقة ما بناء على وعي بذلك الدور. والناس وهم يتفاعلون في حقل ما يتعرضون لعملية تنشيط أو كبح لنشاطهم، ولكن ذلك لا يتحدد باستعدادهم المسبق (هابيتوس) .(habitus) وبعبارةٍ أخرى، تعد بنية الحقل حالة من حالات توزيع الرأسمال النوعي الذي يوجه الاستراتيجيات اللاحقة بما أنه روكم أثناء الصراعات السابقة. إن هذه البنية التي تولد الاستراتيجيات الهادفة إلى تغيير تلك البنية نفسها، تدخل نفسها دوما في اللعبة.

ف "بورديو" ربط مفهوم السلطة، كركن إجرائي جوهري في الفعل التحليلي للجقل الاجتماعي ، بمفاهيم أخرى، لا تقل أهمية وقيمة، من مفهوم السلطة ذاته، ونذكر من بينها، مفهوم دوكسا ، واللعب... الخ، وهي مفاهيم تستمد أهميتها، من تصور" **بورديو**" لمفهوم السلطة الرمزية، ، وهي "السلطة التي تحض على " الجوهري المتخفي تحت غطاء التافه .... و يرسخ قدرتها السرية على الاقناع في الذهن"[(10)]، وذلك من خلال أوامر و ممارسات تافهة والمستترة جدا، غير إنها كفيلة بإبراز الوضع السامي للمؤسسة او لممثل لتلك المؤسسة ، منها مثلا: فخامة المبنى و مؤثث، سيارة فخمة بسائق خاص و حراسة، الأساليب المعهودة في التسيير البيروقراطي الذي تجعل الضيوف ينتظرون طويلا، أساليب التعبير بكيفية سلطوية آمرة... و غيرها من الممارسات التي تجسد و ترسخ في عقول الافراد رموز السلطة" هي في الحقيقة تجسيد و ترسيخ "لتدجين مع عالم فيزيقي مركب رمزيا و عبر التجربة المبسترة و الممتدة للتفاعلات المسكونة ببنى الهيمنة.... ان النظام الرمزي عنده هو نظام اجتماعي محفور في علاقات القوة و متجذر في تاريخ الأجساد و الأشياء" [(11)] ."بورديو" لا يقر بوجود سلطة واحدة ظاهرة و انما سلطات أخرى رمزية لا تقل أهمية في الحقول الاجتماعية ، و الحقل بالنسبة لـ "بورديو" كالسوق، بمعنى فيه منتجون و مستهلكون، فالمنتجون تكمن مهمتهم في إنتاج "الرساميل الرمزية" للقوة و للشرعية تكون منتظمة في شكل منظومات ثقافية متمايزة مثل

---

9 - مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 37، ديسمبر 1985 ص 37.

10 - شوفالييه، س. وشوفيري، ك، معجم بورديو .ترجمة: الزهرة إبراهيم، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ، ط1، 2013 ص 180.

11 - المرجع نفسه، ص 180 .

الفن و البرتوكولات و العرف و الاساطير و التمثلات، مكونة من طرائق الرؤية فيما يتعلق بالتراتبية/ الشرعية ، و طرائق الإحساس فيما يتعلق بإنتاج و نشر هذه الرساميل الرمزية، و أخيرا من طرائق التفكير فيما يتعلق بالممارسات و الطقوس المعبرة عن تلك الرساميل الرمزية. أي أن هذه المنظومات الثقافية تجعل من الأعوان المشتغلين ضمن الحقل ينضوون تحت فئات مبنية structuré و بناءة structurante.مبنية لأنها تتحرك و تشتغل في حدود الرأسمال الخاص بالحقل، و بناءة لأن تفاعلها مع بعضها البعض ومع أعوان الحقول الأخرى يسمح لها بترقية و إعادة إنتاج هذا الرأسمال .

وأما ميشال فوكو فقد تجاوز كذلك المفهوم المعروف للسلطة (الهيمنة وفرض منطقها على مجموع الهيكل أو الجسم المجتمعي) ليقول" :هناك علاقات سلطوية وهي عديدة في واقع الأمر ولديها أشكال مختلفة ونلمسها في كل مجال، وفي صلب العائلة، وتلعب دورا فيها وفي كل المؤسسات والإدارات، وهي علاقات معقدة بين المهيمِن والمهيمَن عليهم ".وهكذا نجده مثل "بورديو" يستعمل علاقات البنى السلطوية كمبدأ جذري وكأساس للتفسير الاجتماعي: "إن خاصية العلاقات السلطوية كعوامل في البنية تتمثل في أن بعض الناس بطريقة أكثر أو أقل يحددون تصرف وسلوك أناس آخرين ولكن ليس بطريقة قطعية. إن العلاقات السلطوية تنتج كل الإستراتيجيات والشبكات والميكانيزمات وكل التقنيات التي بواسطتها يتخذ أو يقبل هذا القرار ولا يتخذ أو يقبل قرارٌ آخر".. [12]

يمكننا تصور الحقل في الوقت نفسه كفضاء مكون من/ و مشكل لمواقع تتوقف خاصياتها على المكان الذي يشغله الفرد (العون) في هذه الفضاء والتي يمكن تحليلها بدون الرجوع إلى مميزات شاغليها (الأعوان). لكنه كذلك الفضاء لصراع نوعي قائم بين الداخل الجديد الذي يحاول تغيير الأوضاع و علاقات القوة من جهة، والمهيمن الذي يحاول الدفاع عن احتكاره للرساميل الرمزية وإقصاء المنافس من جهة أخرى (13).إن اشتغال حقل معين مشروط بوجود رهانات وأشخاص يلعبون اللعبة، مزودين في ذلك بهابيتوس habitus الذي يقتضي المعرفة والاعتراف بالرهانات وبالقوانين الملازمة للعبة. وبعبارة أخرى، يعتبر الحقل كفضاء لتوزيع الرأسمال الرمزي الذي يوجه الاستراتيجيات الأفراد بما أنه أنتج أثناء الصراعات السابقة ، أي تبعا لحدود الإمكانات الموروثة من الصراعات السابقة و التي تميل إلى تعريف أو تحديد مجال اتخاذ المواقف الممكنة و توجيه البحث عن الحلول في الصراع الحالي. إن هذه البنية التي تولد الاستراتيجيات الهادفة إلى تغيير تلك البنية نفسها، تدخل نفسها دوما في اللعبة: إذ يسعى الأعوان من خلال دخولهم في صراعات داخل الحقل إلى احتكار السلطة، أو يسعون من خلال ذلك إلى قلبه.

12

13 - Pierre Bourdieu : Raisons pratiques, sur la théorie de l'action -Ed Seuil 1994 p 68

1 – 3 الهيمنة :

يعرف "ماكس فيبر" الهيمنة، بمعناها العام، على أنها 'إمكانية شخص او كيان على إكراه الآخرين لتغيير سلوكهم وفقا لإرادته بشكل شرعي '[14]. سواء باستخدام القوة البدنية البسيطة أو المسلحة (أو التهديد باستخدامها) لمنع أو قمع أي تمرد. وهكذا ، وفقا لفيبر ، 'الدولة هي تلك الجماعة الانسانية التي توجد، داخل اقليم محدد... تطالب لنفسها وتنجح في فرض احتكار العنف الجسدي المشروع'[15]. لكن الهيمنة يمكن أن تكون اقتصادية أيضا ، ففي نمط الإنتاج الرأسمالي ، يتم الإكراه - وفقا لماركس – من خلال فصل وسائل الإنتاج وقوة العمل التي تجبر العمال على بيع قوة عملهم بحرية وقبول ' ، و منه الهيمنة هي سيرورة قبول قرارات و إجراءات السلطة بدون أي اعتراض او مقاومة من طرف المهيمن عليهم ليس بالضرورة خوفا من القمع (الشرطة ، الجيش ، الوالدين ، ، وما إلى ذلك) و انما كذلك من اعتبارهم لتلك الهيمنة بانها امر عادي و مفروغ منه ، و هو الامر الذي دفع " بيار بورديو " عن التساؤل عن الكيفية التي يحقق بها النظام الاجتماعي هذه الطوعية و الرضوخ [16].

حسب ماركس وإنجلز ، لأن 'أفكار الطبقة الحاكمة هي أيضا ، في جميع الأوقات ، الأفكار السائدة'[17] ، اما" لوكاس " Lukács فيرى ان الوعي المزيف المدمج في عقل المهيمن عليهم يعيق تمردهم. في نفس السياق ، اكد " ادورنو" Adorno على دور الصناعات الثقافية و "ماركوز" Marcuse على دور القمع الجنسي أثناء التعليم المبكر. أما "فيبر" فيعتبر ذلك نتاج لشرعية السلطة و القوة . اما "دوركايم" فيفسر ذلك بالضمير الجمعي .

في نفس السياق "فيبر" يرى انه 'يمكن للأعوان منح لنظام ordre ما المصداقية و الشرعية باسم التقاليد (بما هو معهود) ، باسم اعتقاد عاطفي (بما هو مثال او النموذج) باسم اعتقاد عقلاني بقيمة (بما هو صحيح و صادق) ، باسم استعداد الإيجابي ، في شرعية ما يعتقد ' [18]. فالهيمنة هي ميزة السلطة السياسية عند"**فيبر** "والتي تمنحها حق ممارسة القهر والإلزام في إطار مشروع، ذلك أن السلطة السياسية ليست حالة عرضية وإنما علاقة اجتماعية قوية تتميز بمشروعية مصدر "القوة" وإيمان أفراد المجتمع بواجب طاعتها.

14 - Weber Max, La Domination, Ed, La Découverte, Paris 2013 . p 44.
15 - Weber Max, La politique comme profession et vocation, Ed ,La Découverte Paris,, 2003 p 118.
16 - Bourdieu Pierre, Méditations pascaliennes, Ed, Seuil, Paris, 1997 p 206.
17 - Marx Karl , Engels Friedrich, L'Idéologie allemande, Éd sociales, Paris. 1976. P 44.
18 - Weber (Max), Économie et Société/1. Les catégories de la sociologie, Paris, Pocket, 1995.p 72.

على خلاف " فيبر" يعتقد "بورديو" ان الشرعية لا تمنح ارادیا و بوعي من الافراد المانحين ، كما انه من العبث اختزال الهيمنة في سلطة واحدة، فالسلطة سلط وكل واحدة مرتبطة بالفضاء الذي تمارس فيه (الحقل). فرؤية "بورديو" للسلطة المؤدية للهيمنة ليست مختزلة في العنف و الامتثال الارادي مهما كان مصوغه، بل لها شروط وآليات ينبغي الكشف عنها وتحليل مشروعيتها. فهو يرى ان الهيمنة غالبا ما تكون خفية وغير مرئية، لذا وجب تعرية أسس شرعيتها وتجريح آلياتها حتى يسقط قناعها القدسي ونعي الحتمية التي تسودنا... فهي عبارة عن نظام من العلاقات المتشابكة تؤدي في نهاية المطاف إلى تشكيل نسيج كثيف وسميك يخترق كل الأجهزة والمؤسسات وأيضا الأفعال والعلاقات من دون أن تسكن واحدا منها، فهي مثل الزئبق، متحركة لا تقف لها على وقفة قط[19]. هذا الذي دفع "ببيار بورديو" إلى استحداث مفاهيم تمكنه من الوقوف على آليات الهيمنة الاجتماعية الظاهر منها والباطن اختزلها فيما يسميه "العنف الرمزي". و الذي يتأسس على فكرة أن الطبقة المهيمنة لا تبسط هيمنتها بشكل مكشوف بل تتم أساسا عبر وسائط التربية وتلقين المعرفة والمعتقدات[20]، وهو شكل لطيف وغير محسوس من العنف، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم. لذلك فهو فعال ويحقق نتائج أكثر من تلك التي يمكن أن يحققها العنف المادي أو البوليسي. لأنه ببساطة يمارس على الفاعلين الاجتماعيين بموافقتهم وتواطئهم. ولذلك فهم غالبا ما لا يعترفون به كعنف؛ بحيث أنهم يستدمجونه كبديهيات أو مسلمات من خلال وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية وأشكال التواصل داخل المجتمع. ومن هذه الزاوية يمكن، حسب "بورديو" فهم الأساس الحقيقي الذي تستند إليه المؤسسة الاجتماعية في بسط سيطرتها وهيمنتها؛ فهي تستغل بذكاء التقنيات والآليات التي يمرر من خلالها العنف الرمزي، والتي تسهل عليها تحقيق أهدافها بأقل تكلفة وبفعالية أكثر، خصوصا وأن هناك توافقا بين البنيات الموضوعية السائدة على أرض الواقع وبين البنيات الذهنية الحاصلة على مستوى الفكر[21].

1 – 4 الطقوسية : RITUELS

تشير كلمة "طقس" إلى الكيفية التي يتم بها أداء الأنشطة المقدسة وتنظيمها في إطار احتفالي، ويشار بها في الديانة المسيحية إلى "النظام الذي تتم به الشعائر والاحتفالات الدينية المقدسة". ومن حيث

19 - Bourdieu Pierre, Méditations pascaliennes, Ed, Seuil, Paris ,1997 204.
20- Ibid . p 204
[21] - Bourdieu Pierre, Wacquant Loïc, Invitation à la sociologie réflexive ,Ed, Seuil, Paris ,2014.p 49.

الأصل اللغوي تتأتي لفظة "Rite" في اللاتينية من "Ritus" ويعنى مجموع "الأنشطة والأفعال المنظمة التي تتخذها جماعة ما خلال احتفالاتها"[22]

فالطقس يعني مجموعة من "القواعد" القولية منها والحركية التي تنتظم بها ممارسات الجماعة، سواء اثناء أداء الشعائر المقدسة بالنسبة لها أو من خلال تنظيم و أجرئت أنشطتها الرمزية وضبطها وفق "شعائر" منتظمة في الزمان والمكان. وفي اللغة العربية يشمل مضمون "الطقس" الدلالة على "الشعيرة". ولئن اقترن مدلول الشعيرة في اللغة العربية بما يدل على الممارسات المقدسة التي تدخل المؤمن في حالة القداسة وتجعله يؤتي مناسكه التعبدية، ويحيل أيضا على المراسيم التي تنجز ضمن التعاليم الدينية للدخول في تجربة القداسة الدينية (صلاة وحج، و الدفن والأضحية .....)، فإن مجال الطقوس يشمل أيضا إلى جانب ذلك الممارسات غير الدينية بما في ذلك الممارسات الاقتصادية والسياسية والرياضية، وأفعال التواصل والتفاعل التي تتم بين الأفراد في حياتهم اليومية مثل التحية. ولقد أولى "ايرفينغ غوفمان" لطقوس التفاعل في الحياة اليومية(rites d'interaction) اهتماما أساسيا في ابحاثه الميدانية عن الممارسات "العفوية" في حياة الناس اليومية، مبينا ما يقع فيها من انتظام، وما تختفي من وراءها من نظم رمزية تسير عمليات التواصل الأكثر شيوعا بين الأفراد في الحياة اليومية.

و بناء عليه فالطقوسية في السوسيولوجيا تعني مجموع الممارسات و الأفعال المصممة للأداء بهدف التعبير عن طائفة من المعاني و التصورات[23]، يخترقها محتوى رمزي، و تتقيد إلى حد كبير بطابع هذا المحتوى، وحين تؤدى هذه الممارسات و الأفعال في مناسبات متلاحقة، فستكون صارمة و مقولبة، اما الطقوسية المؤسساتية فهي تدل على أفعال و ممارسات التعزيز ، وفيها تمارس جماعة اجتماعية ما نوعا من الاحياء او التعزيز للمشاعر او العاطفة، و مثال ذلك طقوس الشعائر الدينية، و طقوس التنصيب و الترفيع الإداري، وتحية العلم أو ترديد النشيد الوطني .

ينظر "دوركايم" إلى الطقس على انه ذو طابع موحد في جوهره، يؤدي إلى تقوية الوحدة الاجتماعية" فالطقوس . "تتجه نحو تحفيز بعض الحالات العقلية للجماعات"[24]، لذلك فقد شدد على فكرة أنه لا يمكن للمعتقدات أن توجد بمعزل عن الطقوس. فالتجمعات الطقوسية حسب رايه ترسخ لدى أعضاء جماعة معينة حس الانتماء إليها، وتطور لديهم حس التبعية لقوة أخلاقية أسمى من الأفراد. و لقد كانت لدراسة " دوركايم" للديانة اثر في تشكل ميدان بحث خصب حول العمليات والمؤسسات الاجتماعية

22 - Larousse, Dictionnaire de la langue française, Ed 1988, p.1652.
23 - Goffman, Erving, les rites d'interaction, (trad. de l'anglais par Alain Kihm,), Minuit, Paris ,coll « le sens commun », 1974,p 240 .
24 -Emile Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, Le système totémique en Australie.5eme Ed . PUF . paris 1968. Pp 13-14.

في المجتمع المعاصر. يقدم دوركايم مثالا على أهمية العناصر النفسية الاجتماعية في حياة الأفراد في المجتمعات الحديثة بحس التضامن والتبعية المتزايد، الذي خلفه فوران التجمعات الجماعية الكبرى، لقد فتح دوركايم المجال امام دراسة الطقوس ورموزها وممارساتها، مجالا خصبا يسمح بفهم شواغل الجماعة وذهنها الجمعي، وميدانا ثريا لكشف ما ينتجه المتخيل (l'imaginaire) الجمعي من صور ذهنية ورموز، الأمر الذي يجعل من دراسة هذه المنتجات في المتناول العلمي.

لكن ما علاقة الفعل الطقوسي بعملية التأسيس (institutionnalisation) وممارسة السلطة؟ في الحقيقة تستوجب عملية العبور إلى المكانة (statut) الجديدة اعترافا وشرعية تسمح بها فعالية طقوس العبور و"التأسيس"، أو طقوس "إضفاء الشرعية" كما يقول بيار بورديو[25]. " فممارسة الطقوس بوصفها وسائل رمزية لتأسيس السلطات والمراكز الاجتماعية (les statuts sociaux) وإضفاء الشرعية (légitimer) على السلطات وأشكال التمايز القائمة بين الأفراد والجماعات؟ ألا تندرج تلك الممارسات ضمن المساعي الفردية لتعزيز ملكية الثروات الرمزية في سوق الشرف و المحترمية (respectabilité)" [26]، فأن نؤسس لمركز اجتماعي أو مكانة ما يعني أن نضفى على الشخص "العابر" إلى المكانة الجديدة اعترافا وشرعية تلازمها "صلاحيات" وامتيازات جديدة. ويساهم الاحتفال الطقسي بحسب ما تصاحبه من شعائرية سحرية ناعمة في تحقيق عملية العبور. وتعطينا نماذج من الحياة السياسية اليومية أمثلة كثيرة عن طقوس التأسيس هذه.. فعندما يدعى عضو ما إلى أداء مهمة وتحمل مسؤولية سياسية محددة، تقام له طقوس وشعائر (investitures) خاصة للتنصيب بشكل احتفالي، وخلال ذلك تجرى عمليات رمزية "سحرية" تترجمها الأقوال ومجموعة من الممارسات "البسيطة" لكن فائقة الدلالة باعتبارها بروتوكولات لازمة للطقس. فطقس التأسيس أو طقس التنصيب، ينهض بوظيفة أساسية حاسمة. إذ ثمة شرعية يقع إضفاؤها واعتراف رمزي يتم التأسيس له وتمريره ضمنيا لجعل الفواصل و"الامتيازات" التي تتصل بالمقام الجديد حقيقة قائمة تحظى بالشرعية والاعتراف. فبواسطة الطقس والاحتفالات التي تصاحبه، تبنى الحدود الرمزية بين المكانات القوية و المكانات الأقل قوة في سلم المواقع. وتسمح عملية التأسيس بالعمليات "السحرية" والبروتوكولات التي تتم بها بتعزيز الامتيازات والحقوق المعنوية والرمزية التي يقتضيها المقام الجديد.

و يتحقق فعل التأسيس هذا، أيضا من خلال تكرار الشعائر ، فتكرار الإتيان بتلك الشعائر بحسب توزيعية زمنية يومية وأسبوعية وسنوية calendrier يساهم في ترسيخ المعتقد في الذهن والجسد، وذلك على شاكلة ما يسميه "بيار بورديو" التطبع (habitus). لأن الاستعدادات (les dispositions) والطباع تترسخ تباعا عبر عمليات التكرار والتطويع المستترة، وخاصة تلك المصحوبة بالشحنات الروحية والوجدانية. فتكرار

25 - Bourdieu, Pierre, Ce que parler veut dire. L'économie des échanges linguistiques, éd Fayard, 1997, p.121

26 -Bourdieu, Pierre, Les rites d'institution », dans , Langage & pouvoir symbolique, Seuil, Collection Points-Essais, 2001, p.176

الطقس بالعمليات التي تصاحبه إنما يدعم عمليات التنشئة والاكتساب الثقافي، ويساهم في ترسيخ القناعات والميول في الجسد والذهن معا. إذ ليست الطقوس في آخر الأمر سوى لغة مشحونة بخطاب كثيف ومختصر. و تتخذ الممارسة الطقسية نجاعة عملية بحكم التأثير الرمزي والوجداني الذي تحدثه في المنخرطين فيها.[27] " فالأنظمة الرمزية في اعتقاد "بورديو" ليست فقط أدوات للمعرفة ؛ فهي أيضا أدوات الهيمنة ('الأيديولوجيات) في معجم ماركس ، و (العدالة الالاهية théodicées في معجم فيبر "([28]).

و في هذا السياق قد لخصت "دو غلاس" هوية الإنسان في قولها إنه كائن طقسي بكل امتياز، فالطقوس تتعزز عندما يشتد قلق الجماعة وخاصة عندما يواجه أفرادها تشوشا واضطرابا في تمثل القيم بسبب الصراع بين القديم والجديد، في مجتمع سريع التغير تعرف فيه القيم(التي ينظم بها الناس ممارساتهم وعلاقاتهم) تغيرا وعدم استقرار. ان إجراء طقوس غايتها التأسيس الرمزي للحدود القائمة بين المكانات والمواقع في سلم الهرمية الاجتماعية، وضبط الفوارق النوعية بين المكانات (statuts)، والحقوق والواجبات المتصلة بها.

27 - منصف المحواشي ، الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل » / *Insaniyat* , *إنسانيات*,2010 49 ص ص 15 – 43

28 - Bourdieu Pierre, Wacquant Loïc, Invitation à la sociologie réflexive ,Ed, Seuil, Paris ,2014.p 51.